أنين

شعر/
عبدالمحسن يوسف

أئنُّ أنا
يئنُّ دمي
. تئنُّ قصيدتي الأولى ، غناءُ أحبّتي
، ريحٌ بباب الليلِ ، ذاكرتي ، ظلالُ
كآبتي ، سأمي .
نخيلُ الوقتِ ، أغصاني الجديرةُ
بالثناءِ ، وقهوتي السوداءُ ، حبري
، وردةٌ في الكأس ، موّالٌ عتيقٌ ملء
هذا الرأسِ ، برقُ قلادةٍ في نحرِ
سيدةٍ شغفتُ بها ، حقولُ فمي .
غيومُ الصيفِ ، سربُ نوارسٍ في
القلبِ ، مائدتي ، حديثي عن رواياتٍ
مترجمةٍ ، وقهقهتي الطويلةُ في
ممرِ الصمتِ ، تمرُ أصابعي ، ندمي .
وسامةُ نجمةٍ في الروحِ ، أشجارُ
الطريقِ ، تحيتي للطيرِ تحصيني
وأحصيها وأحصي ريشَها ، وأئنُّ
منطفئًا : أرى عدَمِي .

أئنُّ أنا
يئنُّ دمي ..
وثرثرتي على ظهرِ السفينةِ ،
أضلعي ، وحقائبي ،
والضوعُ (ضوعي) ، كلما سافرتُ
ليلًا عبر هذا البحرِ ،
طيفُ " جزيرتي " ، ألمي ..
يئنُّ الدمعُ في روحي ،
يئنُّ الوردُ خلفَ ظلالِ من رحلوا ،
مرضتُ وعادَني سقمي ..

أئنُّ أنا ،
قناعاتي تئنُّ ،
وقلتُ : أقنعتي ، وأمتعتي ، بياضُ
سريرتي ،
وفضاءُ أشرعتي ، وملحٌ في رغيفِ
طفولتي ، والبؤسُ ، موّالي ،
و " جوّالي " ، وأحوالي ، وأسمالي
التي ضاقتْ عليّ ، وريبتي ،
عطرٌ بشالِ حبيبتي ، قمرٌ على
شفتي يئنُّ ، حماقتي ، نغمي .
وصحرائي تئنُّ ،
أقولُ صحرائي التي اتسعتْ كما
اتسعتْ مقابرُنا ، نوارسُنا هي الأخرى
تئنُّ على شفا الذكرى ، وماءٌ في
جرارِ الغيمِ أنّ أنينَهُ الحافي ، وأتبعَ
حزنَهُ شجني
يقولُ : الروحُ غادرةٌ ، أضيفُ : وخائنٌ
بدني .

أئنُّ أنا
يئنُّ دمي .
وجودي يصطفي عدمي .

الـــضـــوء.. مـــســـارات الـــفـــن!!

المقالح عبد الكريم
E-mailialmaqah@gmail.com

--1

بحلول خريف العام 1839م دخلت البشرية منعطفا جديدا مغايرا سيعمل على تغيير الكثير من مسارات الحضارة الإنسانية.. بل إن هذا التاريخ أعاد رسم خارطة العالم وللأبد.. إنه اختراع آخر.. هذه المرة كان صغير الحجم لكنه عظيم الإبهار.. تماماً كما لو أن مارد علاء الدين خرج من قمقمه إنها.. الكاميرا.

وذاك.. كان خريفا مشهورا.. ففيه انفجر الإعلان الكبير عن النجاح المدوي لسلسلة تجارب متتالية نتج عنها تحقيق إنجاز علمي هام هو: نجاح عملية التصوير الشمسي.

أما ما أعقب ذلك الحدث "الكوني" فكان فوق حدود التصور.

--2

إذن آلة للتصوير.. وهذا كان يعني الكثير:

أولا: السرعة في إنجاز كم لا محدود من الصور.

ثانيا: الدقة والحيادية في نقل صور البشر والمناظر بأقل قدر من تدخل عواطف المصور.

ثالثا: دخول مفهوم الرسم في اتجاه جديد.. إضافة إلى انقلاب مفاهيم الفن التشكيلي وتعدد مدارسه.

رابعا: احتدام التنافس الاستعماري بين الدول العظمى.. لحد عملت المطامع في توسيع نطاق المستعمرات إلى احتلال الجزائر، عدن، الاسكندرية.

خامسا: "وهو موضوعنا هنا" دخول التوثيق طورا جديداً وهاماً بحيث امتازت الوثيقة/ الصورة بما يلي:

-1 واضحة التفاصيل.

-2 دقيقة التوصيل.

-3 إنجاز كمية لا محدودة من اللقطات في زمن قياسي.

-4 المطابقة الحقيقية للموضوع/ المادة المنقولة في الصورة.. لعدم تدخل عواطف المصور في الموضوع.

-5 عدم التفاوت بين اللقطات المنجزة لمشهد واحد لعدم الاعتماد على مهارة الرسام الفنية في نقل تفاصيل الموضوع المصور.

--3

إننا نرى عند بعد ونسمع عن قرب.. ويتميز البصر عن بقية الحواس لإمكانياته في إكسابنا الكثير من المعارف.. لذا فإن الصورة - حسب موهو - اقتصادية.. (لأنها توجز التفاسير وتختصر البراهين.. فهي تقنع بأقل كلفة) أما الوجود داخل الصورة فمعناه (البقاء في مداها الزمني الممتد والمجهول) كون الصورة في محصلتها الأخيرة كما يرى الباز هي الإمساك بشيء وتثبيته على قطعة ورق.. سواء كان لحظة نادرة أو حائطا قديما.. (فأمام سطوة الزمن - الذي يزيل الأشياء - لا تجد الذاكرة تعويذة أفضل من الصورة).

ومن بين جميع أنواع/ موضوعات الصورة الفوتوغرافية.. تأتي الصورة التذكارية في المرتبة الأولى.. إنها الماضي بكل ما كان وما حدث فيه.. وهي في حضورها أكثر قوة من الذكرى الخيالية التي تشحب وتضعف خيوطها في ذهن الإنسان نتيجة سطوة الشيخوخة.. إن الصورة - خاصة القديمة منها - آلة زمن لا تكتفي بنقل الإنسان إلى زمكانية تفاصيل المشهد.. بل إنها تعمل على إعادة إدخاله في طي لفائف ما كان حينها.. أي العيش ثانية مع الأحداث.. إضافة إلى تنشيط ذاكرة المتلقي في مستويين مختلفين الأول: قديم والثاني: مستقبلي..

بمعنى إعادة تمثيل ما كان ومن اتصل بشخوص أو مكان المنظر المصور.. وتاليا ما أسفر عن ذلك كله - موضوع الصورة وما سبقها - من علاقات إنسانية جديدة أو متجددة وما انضاف من أماكن.

من هذا كله يتبدى لنا بوضوح مدى أهمية الصور القديمة أو التذكارية.. فهي تلعب دور تمديد للحياة.. كونها - حسب موهو - سليلة الحنين.. إضافة إلى أن (النظر ليس طريقة للتلقي.. بل هو ترتيب للمرئي.. لأن الصورة تمتح معناها من النظرة.. كما يمتح المكتوب معناه من القراءة.. فالصورة فائض الفكرة).

ولعل هذه الميزة تفسر لنا مدى اهتمام الإنسان - أينما كان - بالصور القديمة.. سواء من حيث الاحتفاظ بها أو طلبها.. الأمر الذي قاد إلى دخول هذا النوع من الصور في قائمة أكثر المتطلبات الإنسانية ارتفاعا في الأسعار تحت سقف أكبر قاعات المزادات في العالم.. كما جرى في مزاد علني في صالة "سوثبي بلجرافيا" في لندن.. حيث تم بيع ألبوم صور "بورتريه" تقليدي عمره مائة عام - كانت قد صورته جوليا كاميرون - بمبلغ 130 ألف جنيه استرليني.. أما أحد هواة التصوير الفوتوغرافي كما تضيف غادة السمان- وهو اورنولد كرين فقد دفع 35 ألف جنيه استرليني ثمنا لصورة واحدة هي صورة الكاتب "ادغار آلن بو" الملتقطة له عام 1848م).

ولعل هذا الولع والجنون بالصور القديمة لا يدهشنا أبدا لإدراكنا التام أن الصورة كلما ازداد عمرها زادت قيمتها الفنية والتاريخية وبالتالي ارتفاع سعرها.. ومن هنا يتضح لنا كيف أن تثمين الصور القديمة.. يجعلنا ندرك أكثر (كيف تصبح الصورة إحدى قنوات الاتصال الرئيسية مع الماضي) - الباز.

إحالات

1 - عبدالرحمن منيف: التاريخ من خلال الصورة - كتابه: رحلة ضوء - الطبعة الأولى 2001م. - المؤسسة العربية للدراسات والنشر/ بيروت - المركز الثقافي العربي للنشر والتوزيع/ الدار البيضاء.

2 - لحسن موهو: في البدء كانت الصورة - جريدة الفنون - عدد 22 - اكتوبر 2002م

3 - عبدالمنعم الباز: التصوير الفوتوغرافي فن الرسم بالضوء - جريدة الفنون - العدد الثالث - مارس 2001م.

4 - غادة السمان: اللوحة الفوتوغرافية.. فن جديد - كتابها: ع غ تتفرس - الأعمال غير الكاملة - منشورات غادة السمان/ بيروت.

دلالة الصيام في الخطاب الصوفي

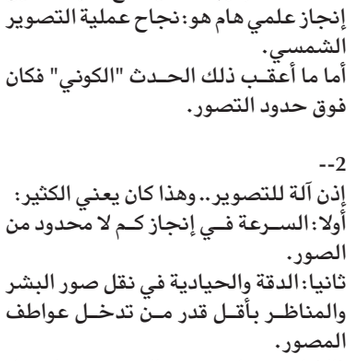

وليد الحسام

يعتقد الكثير من الناس أن الصوفية أو التصوف مذهبٌ تحكمه رؤيةٌ واحدةٌ ،ويجهلون أن هناك طرقاً للتصوف وأن لكل متصوفة مدرسة، وولياً (عارفاً) يتبعونه ويستلهمون منه طقوس العبادة ويجعلون منه مثلاً و طريقةً لإداء الشعائر.

وعلى الرغم من تعدد طرق التصوف وتنوع تصنيفاتها إلا أنّ شعائر العبادات واحدةٌ ، هي ذاتها شعائر المسلمين كافة ،ومكامن الاختلاف في الرؤى وطرق أدائها ما بين الاعتدال والمبالغة ليس إلا ، ولكن الطابع العام للمتصوفة بتعدد طرقها ، والصورة الرسمية لديهم متسقان ومتماسكان ليشكلا في تصورنا رؤيةً شكليةً سطحيةً للمتصوفة.

إنّ مما يميز الصوفية أنّ عباداتهم لم تكنْ مجرد شعائر يؤدونها أداءً ظاهرياً شكلياً، إنما لها -كما يرون- مضمونٌ جوهريٌ، وغاية العبادة هي التحقيق الذي يمثل تطهيراً للقلب من الآثام والذنوب ، وأساسها هو الحب الخالص لله – عز وجل- الذي يعيشون به تجاربهم الروحانية ، والإيمانية .

من شعائر العبادة التي تحظى طقوسها باهتمام بالغ عند الصوفية هي الصوم.. إنها عبادةٌ مميزةٌ لها دلالاتٌ روحانيةٌ ونفسيةٌ عميقةٌ يعيشها المتصوفة وفق رؤى تحددها لهم طريقة التصوف .

لم تقف دلالة الصوم لدى المتصوفة عند حدود ذلك المعنى الظاهري الذي يحمل معنى الإمساك عن كل ما نهى عنه الله تعالى كراهةً أو تحريماً بل تجاوز ذلك إلى الإمساك عن كل ما سوى الله – سبحانه – كما يرون في الصيام باباً من أبواب الولاية لله تعالى ، ويرون منه غاية التقوى .

يختلف الصيام عند المتصوفة من حيث الرتبة ما بين صيام العامة وصيام الخاصة من الأولياء والعارفين كما يسمونهم وفي هذه الرؤية يقول الحافظ ابن رجب الحنبلي:

أهل الخصوص من الصوام صومهمُ.
صون اللسان عن البهتان والكذب
والعارفون وأهل الإنس صومهمُ
صون القلوب عن الأغيار والحجب

لقد تعدى الصوم عند الصوفية من المعنى المباشر إلى دلالة واسعة ليصبح عندهم معراجاً إلى حضرة الذات الإلهية وتشع روح العبد بنورانية الحق تعالى الذي بدوره يضفي نورانيته على العابدين ويمنحهم صفةً من صفاته وهي الصمدية ، ويعتقدون أيضاً بأن الصوم هو الغيبة عن رؤية الخلق برؤية الحق –سبحانه وتعالى – وأنّ الإنسان يبلغ بصيامه وروحانية تعبده مبلغاً كمالياً عظيماً ، ويرتقي في عبادته إلى الخضوع لله وحده ويقطع بها أسباب التعبد لغير المولى –جل وعلا – وهنا يحصل التشبه بالملائكة في الابتعاد عن عبادة الشهوات البهيمية ،ويصل إلى درجة رفيعة من التنزيه والتقديس ، ويحصل علم الغيب –كما يعتقدون – بما تحمله الروح من تقوى مستندين في نظرتهم هذه إلى قول الله تعالى:((واتقوا الله ويعلمكم الله ..)) .

صوم القلب والعقل والجوارح عن المعاصي والآثام أبرز طابع عند الصوفية في صيامهم من أجل تزكية النفس الإنسانية وتطهيرها وتهذيب الجوارح ، وقد تغنى كثير من شعراء الصوفية بالصوم وكل شاعر يجعل منه أيقونة رمزية ودلالية لروحانيته وطقسه.

لقد كتب الشعراء عن الصيام وعن طقوس شهر الصيام مادحين وباكين فراقه وانقضاء لذة روحانيته ، يقول الشاعر الجزائري محمد الأخضر مادحاً الهلال:

ذكّر الناس عهودا هي من خير العهود
يوم كان الصوم معنى للتسامي والصعود
ينشر الرحمة في الأرض على هذا الوجود

ولكثرة استخدام شعراء الصوفية للرمز فإننا نجدهم يُحملّون الكلمة الواحدة تأويلات كثيرة بما يناسب أذواق ومواجد المتصوفة من ذلك يقول ابن عربي :

أجوع ولا أصوم فإن نفسي
تنازعني على أجر الصيام
فلو فنيت أجيرتها لقلنا
بإيجاب الصيام وبالقيام
فإن العبد عبدالله مالم
يكن في نفسه هدفٌ لرامي

ومن هنا لم يعد للصوفية حرجٌ في إعطائهم للكلمة الواحدة التي لها معنى مخصوص مضموناً آخر .

أما رمزية الصوفية لفوائد الصوم فتتمثل في قول جعفر بن محمد الصادق :

الصوم يميت مراد النفس وشهوة الطبع، وفيه صفاء القلب وطهارة الجوارح وعمارة الظاهر والباطن والشكر على النعم والإحسان إلى الفقراء وزيادة التضرع والخشوع والبكاء .

تلويحات

محمد القعود

(1)
في الغد سأعلم يدي مصافحة النسيان
(2)
في الدمعة القادمة سأعتذر لأيامي الماضية..!!
(3)
ما عدت أنا , صرت أشبهني في حالات نادرة, لذلك لاغرابة ان أشهرت في وجهي لغة مفخخة بالعناد و الفراغ
(4)
مر صمتي مساء الحلم ,وشاهدني أتجلبب وحشتي , فأبدى اعجابه الكبير بحالتي ,ومضى الى فراغه الوطني
(5)
لم نعد نمر من شارع البطولة منذ صار أسير ليل الاضافة .
(6)
بعد زفرة مترفة بالحنين سأطلق ما تبقى في جعبتي من ذخيرة ,كي يضيء ليلي الموحش بالآهات المخضرة بالحب .
(7)
كلما هممت بقطف قبلة ناضجة الشهقة ,المح ان هناك بعض ظلال قاتمة تترصدني..,,,,,,,,,!!!
ربما أسرفت في حبي لمن يلهو بخيالي
(8)
لارغبة لي في مجادلة الفراغ
لارغبة لي في اقتناص أنوثة فكرة عابرة
لارغبة لي في مخاصرة وردة عاشقة
لارغبة لي في ارتشاف قصيدة ثملة بالجنون
لارغبة لي في صداقة اسمي ومنادمته عن شهقاته المسربة بين كنايات الوقت,.
(9)
في زمن الاشاوس :تاجروا بالأديان,وتاجروا بالأوطان ,وتاجروا بالمبادئ, وتاجروا بالاخلاق والشهداء ,وتاجروا بالتاريخ والجغرافيا ... وتاجروا بأحلام البسطاء ..وتاجروا بأنفسهم ..
(10)
تعبت الانهار من مسارها الطويل ,ولم أجد لنهري اي ضفة تستريح عليها أسفار أشواقي
(11)
قبل حلم ,نسيت في فمي زبيبة,وهاهي الاماني تمد نحو الايام أغصانها,وعناقيد الشوق تدلت حبلى بثمارها , وبساتيني لم تعد تحتمل شهد الثمار ,فمتى تأتي لتسترد املاكها مع الارباح التي تراكمت بفعل فصول الشوق والانتظار ,,